السَّفِينَة

أبْحِـرِ بِنَـا فِي مُحِيط الحُبِ إخْـوَانَـا
بَحْـرٌ عَبَـرْنَـاهُ أحْقَـابـاً وَأزْمَـانَـا
وَاكْتُبَ عَلَى المَـوْجِ ذِكْـرَى مَنْ تَـوهُّجهَـا
تَبْقَى عَلَى الـوَحْـدَةِ الغَـرَّاء عُنْـوَانَـا
وَسَلَـهُ عَـنْ أُمَّـةٍ كَـانَتْ مُـوَحَّـدَةً
حُبـاً وَقَلْبـاً وَأهْـدَافـاً وَوِجْـدَانَـا
لَمْ يَشْهَـدِ البَحْـرُ عُـرْسـاً مِثْلَ مَـوْكبنَـا
وَلاَ امْتَطَتْ مَـوْجَـهُ دُنْيَـا كُـدُنْيَـانَـا
سَفِينَـةٌ لَمْ تَكُنْ كَـالفُلْكِ مَـاخِـرَةً
وَلَمْ تَكُـنْ مِثْلَهَـا تَحْتَـاجُ رُبَّـانَـا
وَإنَّمَـا هِيَ أرْوَاحٌ مُجَنَّـدَةٌ
وَبَـرْزَخُ كَـانَ بِـالأشْـوَاقِ مَـلآنَـا !
وَبِـالمَـوَاهِبِ إبْـدَاعـاً وَمَعْـرِفَـةً
وَبَـالْعَطَـاءَاتِ أشْكَـالاً وَألْـوَانَـا
وَيَسكُبُ البَحْـرُ فِي سَمعِ الزَّمَـانِ صَدَى
أمْـواجِـهِ نَغَمـاً عَـذبـاً وَألْحَـانَـا
كَأنَّمَـا الأرْضُ أعْيَـاهَـا تُفَـرّقُنَـا
فَأسْعَـدَ البَحْـرَ أنْ يَحْظَى بِلُقْيَـانَـا !

خَلَتْ سِنُونَ ! أضَعْنَاهَا سُدًى وَمَضَى
جِيلٌ تَجَرّعَ آلاَماً وَأحْزَانَا
كَأنَّمَا لَمْ نَسِر يَوْماً إلَى هَدَفٍ
وَلَمْ نَكُنْ كُلُّنَا فِي الخَطْبِ أعْوَانَا
وَلَمْ تُروِّ دِمَانَا أرْضَ مَغْرِبنَا
وَسَرَّنَا الدّهْرُ أحْيَاناً وَأبْكَانَا
شِدْنَا بِوَحْدَتِنَا الكُبْرَى صُرُوحَ عُلاَ
قَامَتْ عَلَى الحُبِ تَوْطِيداً وَبُنْيَانَا
إذَا اشْتَكَى ألَمَا فِي فَاسَ مُضْطَهد
شَكَا أخُوهُ المعنَّى فِي تَلمسَانَا !
عِشْنَا وَكَانَ لَنَا فِي مَجْدِنَا وَطَنٌ
وَمَغْرِبٌ لَمْ يَكُنْ دُوراً وَأوْطَانَا
وَعَطَّلَ الدَّهْرُ مَسَرَانَا وَعَوَّقَهُ
وَألْبَسَ المَجْدَ أسْمَالاً وَأكْفَانَا
كَأنَّ مَا كَانَ فِي أيَّامِ وَحْدَتِنَا
مِنَ العَظَائِمِ وَالأمْجَادِ مَا كَانَا !
وَالْيَوْمَ نَنْهَضُ فِي عَزْمٍ عَلَى قَدَمٍ
وَنَحْنُ أعْمَقُ إصْرَاراً وَإيمَانَا !

* ● *

أَلْقَتْ بِمـــرْسَـــاتِهَـــا فِـي الشّطِّ وَاقْتَبَلَتْ
أهْـــلاً كِـرَامـــاً وَأحْبَـــابـــاً وَأَحْضَـانَـــا
لَـوْ وَزَّعُـوا شَـوْقَهُـم فِي الكَـوْنِ أجْمَعِـهِ
لَضَـــاقَ عَنْ فَيْضِـهِ أرْضـــاً وَإنْسَـانَـــا
قَـــدْ كَـــانَ فِي كُـلِّ قَلْبٍ جَـــذْوَةً كمنَت
حَتَّى رَسَـوْنَـا فَثَـارَ الشّـــوْقُ بُـرْكَـانَـا!
وَضَمَّ كُـلّ أخٍ بَعْـــدَ الفِـــرَاقِ أخـــاً
وَفَجّـــرَ الحُـبّ أشْـــوَاقـــاً وَأجْفَـــانَـــا
وَجَمّعَ اللّـــهُ شَمْـــلاً بَعْـــدَ فُـــرْقَتِـــهِ
وَذَابَ مَـــا عَـــاقَ مَسْـــرَانَـــا وَألْهَـــانَـــا
مَنْ شَـكَّ فِينَـــا وَفِي تَـــارِيخَ أُمَّتِنَـــا
يَلْقَى عَلَى البَحْـــرِ إثْبَـــاتـــاً وَبُـــرْهَـــانَـــا
لَنْ يَبْلُغَ الغَـــرْبُ مِنَّـــا مَـــا يُـــؤمِلَـــهُ
كُنَّـــا وَنَبْقَىٰ أشِقَّـــاءً وَإخْـــوَانَـــا !
وَسَـــوْفَ نُمْلِي عَلَى الـــدُّنْيَـا فَتَسْمَعُنَـــا
وَيَفْتَحُ الغَـــرْبُ مُنْـــذُ اليَـــوْمِ آذَانَـــا
مَـاكَـــانَ أحْـرَىٰ بِأنْ نَسْعَى إلَـى هَـدَفٍ
أسْمَى وَنَطْفِـئ نِبـرَانـــاً وَأضْغَـــانَـــا
لِيَأسُـوَ العُـرْبُ جُـرْحـــاً لَمْ يَـزَلْ وَرِمـــاً
وَيَمْسَحُـــوا وَصْمَـــةً تَكْسُـو مُحَيّـــانَـــا

شُعُـــوبُنَـــا لِلْغَـــدِ الـــزَّاهِـي مُعَبّأةٌ
فَـــلاَ مَكَـــانَ لِكسلَى أوْ لِكســـلاَنَـــا !
وَأرْضُنَـــا وَهْـيَ مِعْطَـــاءٌ سَنَـــزْرَعُهَـــا
حَبـــاً. وَحُبـــاً يُغَـــذِي كُلّ جُـــوعَـــانَـــا
وَلاَ حُـــدُودَ عَلَى أطْـــرَافِ مَغْـــرِبِنَـــا
وَلَنْ تَـرَى بَعْـدُ مَسْجُـــونـاً وَسَجَّـانَـا !
وَإنَّمَـا وَاحَـــةٌ خَضْـرَاءُ يَسْـــكُـــنُـــهَا
شَعْبٌ تَـــوَحّـــد أرْوَاحـــاً وَأبْـــدَانَـــا
سَيَطْـــرُدُ الفَقْـــرَ مَـا تُحْيِي سَـــوَاعِـــدُهُ
وَمَـــا سَيَنْشُـــرُهُ عَـــدْلاً وَعِـــرْفَـــانَـــا
يُقِضُّ مَضْجَعَنَـــا مَأسَـــاةُ إخْـــوَتِنَـــا
فِي القُـدْسِ، وَالمَـوْتُ فِي جَنَّـاتِ لُبْنَـانَـا
وَلَنْ يَطِيـبَ لَنَـــا عَيْـشٌ بِمَغْـــرِبِنَـــا
حَتَّى نُصَلِّي جَمِيعـــاً فِي مُصَـــلاَّنَـــا !
عَـــادَت سَفِينَتُنَـــا بِـــالخَيْـــرِ وَاعِـــدَةً
فَبِـــاسْمِ رَبِّكَ مُجْـــرَانَـــا وَمُـــرْسَـــانَـــا
وَحَقَّقَ اللّـــــهُ آمَـــــالاً لِقَـــادَتِنَـــا
حَتَّى نَـــرَى مُسْتَحِيلَ الأمْسِ إمْكَـــانَـــا !

---

*) بمناسبة إبحار سفينة وحدة المغرب العربي وزيارتها لأقطاره سنة 1988.